Linguistic and Philosophical Investigations
ISSN: 1841-2394, e-ISSN: 2471-0881
Vol 24 (1), 2025
pp. 1256–1276

"Prophetic Praise Poetry in the Islamic Maghreb: The Poem al–Shaqrātīsiyya by al–Shaqrātīsī as a Model – An Analytical Aesthetic Reading"

Phd sudent. Letlat amina [1], Dr. samia kaaelkef [2]

[1:] University of Algiers 2 (Abu al-Qasim Saadallah), " Atlas of Popular Culture Research Laboratory", letlat.amina@univ-alger2.dz, https://orcid.org/0009-0007-7812-7369

[2:] University of Algiers 2 - Abou EL Kacem Saâdallah (Algeria), samia.kaaelkef@univ-alger2.dz

Abstract:

The poetic creativity in the Islamic Maghreb constituted a rich literary product that undoubtedly expressed the culture of the authentic Moroccan society and reflected the essence of identity and its extension through successive generations, despite the skepticism of scholars who accused it of shallowness and sterility and of imitating the eastern poets. Those who listen to this poetry can sense the heritage of the ancestors and their thoughts and characteristics that distinguish them from others. Evidence of this is its response to the calls of religious, cultural, and political imperatives that were present in the Islamic Maghreb over varying periods. Among the poetic themes that surfaced in Moroccan poetic expression are religious poetry, elegy, praise, love poetry, in addition to new themes prompted by the uniqueness of the Moroccan environment. In light of these backgrounds, this research examined the history of prophetic praise and the key factors of its emergence, focusing on the poem 'Al-Shakaratisia' and highlighting its most important themes and knowledge. After a descriptive analytical pause within it, the main aesthetic aspects were revealed through an aesthetic reading of its most important poetic images and its prominent internal and external rhythms, along with revealing its connotative functions.

Keywords: Praise, Prophetic, Theocratic, Aesthetic, Music, Rhythm, Poetic Images.

Received: 28 July 2025 **Revised:** 09 Sep 2025 **Accepted:** 25 oct 2025

شعر المديح النّبويّ في المغرب الإسلامي قصيدة "الشّقراطيسيّة للشقراطيسي "نموذجا –قراءة تحليلية جمالية –

ط د. لتلات أمينة 1، د. قاع الكاف سامية 2

1: جامعة الجزائر -2- أبو القاسم سعد الله، مخبر أطلس الثقافة الشعبية، letlat.amina@univ-alger2.dz

2: جامعة الجزائر -2- أبو القاسم سعد الله، samia.kaaelkef@univ-alger2.dz

الملخص:

شكّل الإبداع الشّعريّ في المغرب الإسلامي نتاجا أدبيّا ثريّا ،عبّر بلا شك عن ثقافة المجتمع المغربيّ الأصيل وعكس أصل الهوية وامتدادها عبر الأجيال المتوالية رغم تشكيك الدارسين الذين اتهموه بالضحالة والعقم وتقليد المشارقة،فالمنصت لهذا الشعر يستنكه إرث الأجداد وفكرهم و سماتهم التي تميزهم عن الآخرين ،ودليل ذلك استجابته لنداء الإملاءات الدينية والثقافية والسياسية التي كانت حاصلة في المغرب الإسلامي على فترات زمنية متفاوتة،ومن بين الموضوعات الشعرية التي طفت إلى سطح النظم الشعري المغربي : الشعر الديني ، الرثاء ، المدح ،الغزل ،إضافة إلى موضوعات جديدة استدعتها خصوصية البيئة المغربية،وعلى ضوء هذه الخلفيات ،تناول هذا البحث تاريخ المديح النبوي ،وأهمّ عوامل نشأته ،وخصّ بالدّراسة قصيدة "الشقراطيسية"وسلط الضوء على أهمّ مواضيعها ومعارفها،وبعد وقفة تحليلية في ثناياها تمّ استجلاء أهمّ جمالياتها من خلال قراءة جمالية لأهمّ صورها الشعرية وأبرز إيقاعاتها الداخلية والخارجية،مع الكشف عن وظائفها الدلالية .

الكلمات المفتاحية :المديح ، النبويّ ، الشقراطيسية ،الجمالية ،الموسيقى، الإيقاع ، الصور الشعرية .

تقديم:

الشعراء في المغرب الإسلامي قصائد جمّة تحتفي بالرسول صلى الله عليه وسلّمّ من مولده حتّى وفاته وتبرز السيرة النبويّة الشّريفة ، وأهمّ الخصال الحميدة وأبرز المواقف التي عايشها صلّى الله عليه وسلّمّ ، وبعيدا عن البواكير الأولى لبناء فن المديح النبوي والتي تقترن ببدء الدّعوة الإسلامية ،فإن من أولى القصائد اكتمالا والتي احتفت بمدح الرّسول صلىّ الله عليه وسلّمّ هي قصيدة " الشقراطيسية " التي كانت وقفة إيمانية بامتياز فيها استفاضة في مدح الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وذكر صفاته وأهم شمائله العليا وأخلاقه الحسنة،وهي بمثابة بوابة لقصيدة المديح النبوي في المغرب الإسلامي وعلى ضوء هذه القصيدة نترصد استجلاء مخبآت هذا النّمط الشّعريّ واستكمال صورته الدقيقة في ذهن المتلقي ونحاول تتبع مسار المديح النّبويّ في المغرب الإسلامي.

عطفا على ما سبق نطرح في هذه الورقة البحثية عدة تساؤلات : ما ماهية المديح النّبويّ ؟وإرهاصات نشأته في المغرب الإسلاميّ ؟ و ما هي اتجاهات قصائد المديح النبويّ ؟ماهي أهمّ السمات والخصائص التي تميّزت بها قصيدة الشقراطيسية ؟ماهي أهمّ المعايير التي أعطت للشقراطيسيّة صبغة جمالية؟إلى أي مدى وفق الشاعر في تنسيج عمل أدبي يجلي من خلاله خصال النبي محمد صلى الله عليه وسلم؟

يعدّ المدح بشكل عامّ غرضا شعريّا عرفته القصيدة العربية في المشرق وفي المغرب منذ العصر الجاهلي لكن مع مجيء الدّين الإسلامي اتخذ المدح مسارا آخر في احدى اتجاهاته من خلال طرقه باب المديح النّبوي؛هذا الأخير الذي لا يختلف فيه اثنان بأنّه سنة جارية راقية يتداولها النّاس بين بعضهم البعض فما بالك بالمسلمين الّذين هم أولى بهذا الأمر النبيل؛كون أنّ دين الإسلام هو دين المحبة و الأخوّة والتّعايش الوديّ ودين الاعتراف بالجميل للآخر والثّناء على شمائله الحميدة بذكر الصّفات وتعداد المناقب والإنجازات ،وكان ورود المدح في القرآن الكريم في عدّة صفات وحالات من بينها- نذكر لا الحصر-

مدح الله عزّ وجلّ للرّسل و الأنبياء" عليهم السّلام " بشكل عام وللرّسول محمّد صلّى الله عليه وسلّمّ حيث قال الله تعالى في سورة التّوبة" **لقدْ جاءكُم رسولٌ من أنفسِكم عزيزٌعليه ما عنتُم حريصٌ عليكم بالمؤمنينَ رؤوفٌ رَحِيم**[1] مدح الله عزّ وجلّ في هذه الآيات الكريمات الرّسول صلى الله عليه وسلّمّ لصفاته الحميدة وأخلاقه العالية،وأثنى على رحمته ورأفته بأصحابه وقد ورد في تفسير السّعدي : **أنّ الرسول صلى الله عليه وسلّمّ كان في غاية النّصح يشق عليه الأمر الذي يشق على النّاس ،بل يحبّ لهم الخير ويحرص على هدايتهم،وهو بالمؤمنين شديد الر أفة والرحمة** [2]،وعلى ضوء هذه الآيات القرآنية نقرّ بحاجة العبد لمدح خالقه وحاجة العبد لمدح العبد فهذه الأخيرة هي فطرة إنسانية تتشبع بالمحبّة والمشاعر الجيّاشة وحسن التّعامل وإبراز العواطف،فالإنسان يحيا ببعض الثّناء والاهتمام،وعلى هذا الأساس ظهر المديح النّبويّ لإحياء مسيرة رجل اجتمعت فيه كل الخصال الحميدة والصفات الجليلة ومعاني الإنسانية العادلة والسامية،فحق هنا المديح لرسول مصطفى من عند ربّه،ولا شك

أنّ ذلك المديح خالص ليس من ورائه هدية ولا عطية زهيدة أو ثمينة لرسول اجتمع المسلمون على حبّه مشرقا ومغربا لسموّ ورقيّ شخصيته ،ونبل أخلاقه صلّى الله عليه وسلّمّ، كيف لا وقد كرّمه ربّه في تنزيله الحكيم بقوله: **" و إنّك لعلى خلق عظيم** [3]**"**

1/مفهوم مصطلح المديح النّبوي:

أ-المديح لغة:

يقول" ابن منظور" في "لسان العرب "**مدح نقيض الهجاء حسن الثّناء يقال مدحته،مدحه، يمدحه مدحا ومدحه هذا قول بعضهم،والصحيح أن المدح المصدر ،و المدحة الاسم والجمع مدح وهو المديح ،والجمع المدائح و الأماديح والأخيرة على غيرقياس**[4] ، كما عرّفه الزّمخشري "**أنه وصف الممدوح بأخلاق حميدة وصفات رفيعة يتصّف بها فيمدح عليها**"[5] وورد في المستطرف بأنّه" **وصف الممدوح بأخلاق يمدح عليها ويكون نعتا حميدا وهذا يصح من المولى في حق نبيّه محمّد صلّى الله عليه وسلّمّ** "[6]،يمكن الاستخلاص أنّ المديح هو اتجاه جوهره الثّناء على الممدوح وشكره وتعدّاد خصائله وصفاته مع إعلاء لغة التقدير والامتنان.

ب المديح اصطلاحا:

يرى ابن رشيق بأنّ المديح **هوسبيل الشّاعر إذا مدح ملكا أن يسلك طريق الإيضاح والإشادة بذكره للممدوح وأن يجعل معانيه جزلة وألفاظه نقية غير مبتدلة سوقية ويجتنب مع ذلك التقصير والتجاوز**[7] في حين يرى الدكتور" زكي مبارك "بأنّ المدائح النّبوية " **فن من فنون الشعر التي أبدعها التّصوف فهي لون من التّعبير عن العواطف الدّينيه وباب من الأدب الرفيع لأنها لا تصدر إلا عن قلوب مفعمة بالصّدق والإخلاص**"[8] ويرى الدكتور جميل حمداوي بأنّ المديح " **مدح الرسول صلى الله عليه وسلم بتعداد صفاته الخلقية والخلقية والتعبير عن الشّوق لرؤيته صلّى الله عليه وسلّمّ والرغبة في زيارة قبره والأماكن المقدسة التي ترتبط بحياته صلّى الله عليه وسلّمّ،مع ذكر معجز اته المادية والمعنويّة ونظم سيرته شعرا والإشادة بغزو اته وصفاته المثلى** " [9]

يمكن القول بأنّ المديح النّبويّ غرض شعريّ أصيل يرتكز على إكبار وتعظيم شخص الرّسول صلّى عليه وسلّمّ ويبرز قيمة سيرته العطّرة في قصائد شعريّة نظمها شعراء من المشرق والمغرب .

وفي هذا الصدد يتفق النّقاد والباحثون على أنّ ذكر خصائل الميت رثاء لأنّه يصوّر وجع الفجيعة والعواطف الجياشة الّتي خلفها فقدان ذلك المرثيّ كما أنّها عزاء للقلوب وللنّفوس،إلاّ أنّ هذا الحكم في حق الرّسول عليه الصّلاة والسّلام استثناء فلا يسمّى رثاءً بل مديحا نبويّا شريفا **فالرّسول صلّى الله عليه وسلّمّ موصول الحياة يخاطبه المحبّون كما يخاطبون الأحياء**...[10] لهذا دأب الشعراء على مدح الرّسول صلّى الله عليه وسلم قيد حياته وبعد وفاته ويتغنون بخصاله الحميدة وسماحته مع الكفار والمشركين ويثنون على حكمته وحنكته في إدارة أشدّ المواقف الفاصلة خصوصا إبّان انطلاق شرارة الدّعوة الإسلامية.

2-قصيدة المديح النبوي في شعر المغرب الإسلاميّ:

احتفى المغرب الإسلامي بالمدائح النبوية مانحا إيّاها الجوّ الخصب من أجل النّماء والنّضج حتى استقلت بذاتها فنيّا وأصبحت تنافح الأغراض والأجناس الأدبية الأخرى، ولعلّ من بين الأسباب الرئيسة التي أسهمت في في بناء القصائد النّبويّة **هي حركة الزّهد الّتي تميّزبها المشهد الديني في المغرب الإسلامي بشكل عام من القرن الثّالث إلى السّادس الهجريين والتي ظهرت خيوطها الأولى في قصائد الشّاعر" بكربن حمّاد التّهرتي" الذي كان له ميل روحي فرضته طبيعة الحياة في المنطقة** [11] :لكن إذا أردنا أن نستقصي البواكير الأولى لشعر المديح النّبوي ونتوغل في أعماق الشعر المغربي القديم برصد مراحل تطوراته سنقف على جهود شعراء المغرب الإسلامي الذين سارعوا منذ بدء الدعوة الإسلامية إلى نظم الكثير من القصائد التي اهتمت بمدح النبي صلّى الله عليه وسلّمّ،طارقين أبوابا متعددة ،من بينها: ذكر المناقب وتعداد الخصائل الحميدة ،مسلطين الضوء على سيرته النبوية الشريفة وهذا استجابة للمستجدات الدّينية، وإيمانا بالرسالة النبويّة الشريفة، كما أنّ بعض الشعراء كانوا يستفتحون قصائدهم بمقدمة غزليّة يعبّرون فيها عن شوقهم الكبير لرؤية الرّسول صلّى الله عليه و رغبتهم الجامحة لزيارة مقامه وفي هذا الصّدد نذكر "**القاضي عياض**"[12] هذا الشّاعر الذي كتب مطولات في مدح الرّسول صلّى الله عليه وسلّمّ ، وفي بعض مدحياته سار على خطى المقدمة الطّللية فافتتح قصائده بمقدمات غزلية ثمّ افتخر بنسب الرّسول صلى الله عليه وسلّم وأصوله، ومن أهمّ القصائد التي نظمها احتفاء بالرسول الكريم صلّى الله عليه وسلّمّ رائيته المشهورة التي جاء في مطلعها :

قف بالرّكابِ فهذا الرّبعُ والدّارُ لاحت علَينا من الأحبَاب أنوارُ

بشراكَ بشراكَ قد لاحت قبَابهم فأنزلَ فقد نلتَ ما تَهوى وتختَار

هذا المحصبُ هذا الخيفُ منى هذي منَازلهم،هذي هي الدَّارُ

هذي قبابُ قبا آثار وطئِهم وذا هوَ الجزعُ ،فابكِ ذا هو الغارُ

هذا النّبيّ الحجازيّ الّذي شهدت له بتقديمه في الرّسل أخبار [13]

في مطلع هذه القصيدة المدحيّة وصف الشّاعر "القاضي عياض " الرّسول عليه الصّلاة والسّلام بصفات وخصائل حميدة حيث مزج بين المدح و الثّناء وتعداد الخصال والشّوق إلى زيارة قبر الرّسول صلّى الله عليه وسلّمّ ولاحظنا أنّه أحيا المقدمة الطّللية بكتابته على منوالها من خلال الإشارة إلى بقايا الدّيار والآثار. والتّحسر على اللقاء الغائب فالرّسول صلّى الله عليه وسلّمّ غائب في الأمكنة وحاضر في الأشعار وفي القلوب .

وفي أبيات أخرى يقول الشّاعر :

فكن شفيعي لما قدمت من زلل ومن خطايا فإنّ الرّبّ غفّار

صلّى عليك إله العرش ما سجعَت ورق ومانفحَت في الرّوضِ أزهارُ[14]

في هذه الأبيات المختارة كان الشّاعر متوسّلا للرّسول صلّى الله عليه وسلّمّ بأن يكون شفيعه يوم القيامة لأنّه انسان خطّاء وله زلات وخطايا كثيرة راجيا المغفرة من الله تعالى،ولقد أصبح هذا تقليدا عند شعراء المديح فقلما ما نجد نبويّة تخلو من طلب الشّفع الّذي يكون في أغلب القصائد في خاتمتها،كما هو الأمر في القصيدة الآنفة الذكر .

وفي سياق متصل يقول الدكتور" محمّد مرتاض" عن مطولات " القاضي عياض" في المديح النّبويّ بأنّها **بلغت في أسلوبها الجمالي وفي لغتها الشّعريّة درجة فنيّة جعلت نصوصه بمثابة أغنيات دينيّة لا تعوز إلى لحن ولا تفتقر إلى سلاليم موسيقية** [15]،وبالتالي اختلفت إنتاجات الشعراء الشعرية في السنوات الهجرية الأولى حتى أنّ بعض الأعمال لم تكن ترقى إلى مستوى تطلعات المديح النّبويّ في البلاد العربية،إلاّ أنه بإجماع الدّارسين. كانت السّنة الخامسة للهجرة مختلفة لأنها كانت شاهدة على ميلاد الشقراطيسية التي شُهد لها بالاكتمال النّوعي وهذا ما مهد الطريق أمام خصوصية واستقلالية فن المديح النّبويّ وأشاد الدكتور "عباس الجراري" بهذه القصيدة في قوله " **إنّ المديح النبوي بوصفه مجموعة قصائد تتجه منهجا محدد الخصائص الفنية و غرضا قائم بذاته مع مطلع القرن الخامس الهجري ،وكانت القصيدة الشقراطيسية بو ابة المديح النّبويّ في المغرب الإسلامي** [16] وهذا الحكم كان بإجماع الباحثين والنّقاد . .

3-إضاءة تعريفية لقصيدة الشقراطيسية :

قصيدة الشقراطيسية -**من بحر البسيط**- وسميت نسبة الى صاحبها **علي بن عبد الله الشقراطيسي**[17] وتعدّ أقدم نصّ مكتمل للنّبويات في المغرب الإسلامي بتفرّد معانيها وبلاغتها اللغويّة المحكمة ودليل ذلك أنها كانت مصدر إلهام لقصائد ألفت بعدها ،بل كان لها الفضل في فتح شهية الشعراء لطرق باب المديح النّبويّ ،**أنشدها الشّقراطيسيّ في القرن الخامس الهجري لما حج مادحا الرسول صلى الله عليه وسلم معدّدا شمائله المحمدية بألفاظ الفضيلة السّمحاء، فقد عمد الشاعر في أكناف قصيدته إلى استعراض وقائع السيرة النبوية وحياة الدعوة المحمدية وفق أسلوب شعري جميل .** [18] ،ألبس الشاعر قصيدته لبسا لغويا وجماليا وكساها كساء انسانيا نبيلا وبالأخص أنّها تمدح الرّسول عليه الصّلاة والسّلام وتبيّن خصاله الفاضلة عبر كل مراحل حياته.

يقول النويري عن هذه القصيدة المدحية : **ابتسمت ثغورها بوصف معجز اته وتحلت نحورها بجواهر صفاته ورفلت في حلل الفخار من باهر اياته وسحبت ذيول الافتخار بإشار اته إلى غزو اته وفاح أرجها فأخجل المسك الدّاري وأشرقت أنوارها على النيرين فما ظنّك بالدّراري** [19].

ويقول فيها الرحالة الجزائري "ابن عمار ": **إنّ الشّقراطيسي لم يُسبق في موضوعها ولم يحتذي فيها على مثال سابق وذلك لانقياد البلاغة في أزمتها ولكونها فتحت للافتنان أبو ابا وحكمت من نسج البديع أثو ابا وطار صيتها في الافاق و انعقد على بركتها الإجماع** [20]

ويصفها الدكتور محمد مرتاض" **بأنّها القصيدة التي نالت شهرة لدى الدارسين في مشارق الأرض ومغاربها وبأنّها النّموذج المحتدى به في المديح النبوي لكل شاعر يفكر في قرض شعر خاص بمدح النبي صلى الله عليه وسلم وسلم** [21]

هذه الشهادات الحية في حق "الشقراطيسية" تؤكد على أنها عمل شعري ذو وزن ثقيل،هذا ما جعلها محل أنظار الدارسين والباحثين بالأخص أنها زاخرة بالبنى اللغوية و وذات قيمة أدبية جمالية لا يختلف فيها اثنان ،واستمد الشاعر "الشقراطيسي "مكونات قصيدته الشعرية من الروافد التراثية ،الكتب الدينية :القرآن الكريم والحديث النّبوي الشّريف،والكتب التّاريخية الملمّة بالسيرة النبوية الشريفه .

4- قراءة تحليلية لهيكلة بناء قصيدة الشّقراطيسيّة :

تتميز قصيدة الشقراطيسية بتنوع أفكارها وغاياتها وتعدّد مستوياتها المتمثلة في المحاور الكبرى :اللّغة الشعرية الإيقاعات،والصور الجمالية... و الأكيد أنّ أي قارئ حصيف وأيّ دارس ملّم يصعب عليه الإلمام بكل جزئيات هذه المحاور بحكم أن القصيدة تجاوزت الثلاثين بيتا بعد المائة لهذا ارتأينا أن نصوب بوصلة بحثنا حول المقومات الكبرى التي ارتكزت عليها القصيدة ورأينا بأنّها أضفت على النّص الشعريّ صبغة جمالية، وقبل الولوج إلى تقفي أثر الجمالية على المقومات الكبرى،وجب إقامة مسح موضوعاتي تحليلي للقصيدة من أجل معرفة دلالاتها ومواضيعها .

تهيكل الشقراطيسية من ثلاثة عناصر وهيّ المقدمة الاستهلالية التي افتتح بها الشاعر نتاجه الشعري وبعدها العرض الدّلالي الذي ضمّ مقاطع شعرية بعناوين مرحلية في تاريخ السّيرة النّبوية الشّريفة ثمّ الخاتمة التي تضمنت رجاء الشّاعر و طلبه الشفاعة من الرّسول عليه الصّلاة والسّلام.

4-أ:المقدمه الاستهلالية:

إنّ الاستهلال هو " **مطلع النّص الأدبي الذي يعطي الانطباع الأولي للنفس فهو عامل مهم في إثارة التخيلات المناسبة وهو يتعلق ببنية النص وبالغرض الذي يصبو إليه وقد عني النقد العربي القديم بالاستهلال عناية فائقة في حدود مصطلحات حسن الابتداء،براعة الاستهلال،والانفتاح،وكمال الاستفتاح**[22]،يمكن القول بأنّ نجاح النّص الشعري متعلق بحسن المدخل وهذا ما يؤكد عليه ابن رشيق القيرواني حين يقول " **المقدمة حسن الافتتاح داعية الانشراح ومظلة النّجاح و لطافة الخروج الى المديح سبب ارتياح الممدوح** "[23]

وفي مطلع قصيدة الشّقراطيسية استهل الشاعر نصّه بحمد الله وشكره على اصطفائه الرّسل للبشر لأنّهم خير خلق الله مفضّلا الرّسول محمد صلى الله عليه وسلم على السّابقين من الأنبياء لأنّه يحمل رسالة سماوية فريدة وخالدة على مرّ السنون .

. يقول الشّقراطيسي في استهلالية القصيدة :

الحمدُ لله منا باعث الرّسل هدى بأحمدَ منا أحمد السّبل

خير البريّة من بَدو ومن حضَرٍ وأكرَم الخَلق من حافٍ ومنتعلِ[24]

وُفق الشاعر إلى حد بعيد في الافتتاحية التي اتسمت ببراعة الاستهلال وحسن الابتداء باختياره افتتاح المقدمة بالثناء على الله تعالى باسمه ونعمه وبإرساء قاعدة تأسيسية بدلالات الحمد والشكر وهذا من أجل المباشرة في محاور العرض الشعري ،فحسنُ الولوج إلى القصيدة فنيا وموضوعيا مهم جدا من أجل استقطاب المتلقي وتهيئته وكذلك يكون المطلع مكمّلا لأبنيتها الداخلية ما يضمن اتساق وانسجام معانيها.

4-ب-محاور عرض الشّقراطيسيّة:

أحسن الشّاعر تخلّصه من المقدمة واتجه الى أهمّ المحاور الّتي ارتكزت عليها هذه القصيدة من خلال توجيه عبارات عتاب لليهود والنّصارى الّذين فضلوا العيش في الظلام ،وتمادوا في ضلالتهم وقد أداروا ظهورهم لمولده صلى الله عليه وسلم وحادوا عن نهجه ولم يتبعوا رسالته ،بعدها تطرّق الشّاعر لمشهد ولادة الرسول صلى الله عليه وسلم هذا المشهد الذي حرّك عرش الكفر و الوثنية وهدّد جبروته بقوة وحكمة فرّد الكون طاعة واستجابة بجزع وانبهار.

يقول الشّقراطيسي:

توراة موسى أتت عنهُ فصدّقها إنجيل عيسى بحقّ غيرُ مُفتَعل

أخبارُ أحبارِ أهلِ الكتبِ قد وردَت عمّا رَأوا ورَووا في الأَعْصر الأوّل

ضاءتْ لمولدهِ الآفاق واتصلت بشرى الهواتفِ في الإشراق والطّفلِ

وصرحُ كسرى تداعى من قواعدهِ وانقضَّ منكسِر الأرجاءِ ذا ميل .

ونار فارسَ لم توقد وما خمَدت مذ ألف عامٍ ونهرُ القَومِ لم يسلِ[25]

نلاحظ من خلال هذه الأبيات أنّ الشّاعر وجّه كلاما شديد اللهجة تضّمن عبارات ضمنية فيها لوم وعتاب لليهود والنّصارى الذين تعصبوا للدّين الجديد وأداروا ظهورهم للنّهج القويم بالرّغم من أنّهم كانوا على سبق معرفيّ،و قد اطلعوا على التّوراة والإنجيل بل وآمنوا بهما إلاّ أنهم اختاروا الضلالةَ وعدم الاعتراف بالدّين الجديد،بعدها صوّر الشّاعر لنا مشهد المولد النّبويّ الشّريف الذي كان إشراقة وضياء في حياة البشر فقد أضاء الليالي الحالكات وأنار مختلف البقاع والقواعد،وفي تلك الأثناء ومع ولادة خير الأنام تزلزل عرش كسرى وانكسرت أرجاؤه،فلا مكان لقوّة البشر أمام قدرة الخالق وتلك كانت إشارة صريحة على تغيّر موازين الكون وإعادة ترتيب نظام الوجود بشكل جدري،وبعد تصوير الشاعر لمشهد ولادة الرّسول صلى الله عليه وسلم استكمل سرده بذكر محطات تاريخية متسلسلة من السيرة النبوية الشريفة وأهمّ الإنجازات ويقول "النويري" في هذا الصدد "إنّها القصيدة التي ابتسمت ثغورها بوصف معجزاته ،وتحلت نحورها بجواهر صفاته، وسحبت ذيول الافتخار بإشارات إلى غزواته "[26]وبهذا يعدّد "النّويري" أهمّ الرّكائز الشعرية التي انبنت عليها القصيدة الّتي طوّفت بالمعجزات والصّفات والغزوات وفحوى الرّسالة المحمدية وشموليتها ، واعترف "النّويري" بأنّ هذه القصيدة تميزت عن باقي القصائد المدحيّة بمجموعة من السمات في مبناها ومعناها وهيكلها و محتواها وكانت فريدة زمانها .

يقول الشّقراطيسي :

ومنطق الدّيب بالتّصديقِ معجزةٌ مع الذّراعِ ونطق العيرِ والجمـــل

خرّت لمبعثه الأوثانُ وانبعثت ثواقبُ الشّهبِ ترمي الجنَّ بالشّعلِ

في دعائك بالأشجَار حينَ أتت تمشي بأمركَ في أغصانها الذّلُـــل

وقلتَ عودي فعَادت في منابتها تلكَ العُروقُ بإذن اللهِ لم تمـــلِ

وقال صاحبكَ الصّدّيقُ كيف بنَا ونحنُ منهم بمَرأى النّاظِر العجـلِ

فقلت لا تحزَن إنَّ اللهَ ثالثُنا وكنتَ في حجب ستر منهُم منسَدِل

حمت لديكَ حمَّام الوحشِ جاثمة كيدا لكلّ غويّ القلبِ مُختبـــلِ

والعنكبوتُ أجادت حوكَ حلّتها فما تخالُ خلال النّسجِ من خللِ

تحية أحيّت الأحياء من مضر بعد المضرة تروي السّبلَ بالسّبلِ

دامت على الأرضِ سبعا غير مقلعة لولاَ دعاؤك بالإقلاعِ لم تـــــزلِ

ويوم زورك بالزّوراء إذ صَدروا في يمن كفّك عن أعجوبة مثـــلِ

والماء ينبع جودا من أناملها وسط الإناء بلا نهر ولا وشـــل

حتى توضّأ منه القومُ واغترفُوا وهمْ ثلاث مئين جمعٍ محتفلِ.[27]

نقف في هذه الأبيات على ثقل معلوماتي كبير صاحبته إحالات ووقائع وأحداث فارقة في حياة الرّسول صلى الله عليه وسلّمّ ،حيث وقف الشّاعر على سلسلة من المعجزات الّتي أعجز بها الرّسول صلّى الله عليه وسلّمّ الكفار و المشركين وأغلبها تجسدت وراء بعض مطالبهم التّعجيزية لا لسبب إلا لكسر إرادة الرّسول صلّى الله عليه وسلّمّ وثني عزيمته ،**وكانت تلك المعجزات استجابة من الله سبحانه و تعالى لرسوله الكريم وتثبيتا له وتشجيعا و تكريما وبعضها الآخر كان تحصينا للرسالة المحمدية وردءا لها**[28]،صبّ الشّاعر جملة من المعارف وفق إطار موضوعاتي ممنهج دون مراعاة السّياقات الزّمنيّة ولعلّ تفسير هذه الخطوة هو عدم التشويش على القارئ ومساعدته في الإلمام بخلفيات و إدراك مقاصد هذه المعجزات المجسدة في هذه الأبيات الشّعريّة الّتي هي جزء لا يتجزأ من ثمانية وثلاثين بيتا،ومما لاشك فيه بأنّ الغرض من عرض الشّاعر لكلّ هذه المعجزات هو تعظيم شخص النّبي عليه الصّلاه والسّلام وإعلاء قيمته وإبراز مكانته للقارئ .

ومن بين هذه المعجزات:نذكر نسج العنكبوت ،وبيض الحمامتين على مدخل الغار ليلة هجرته صلى الله عليه

و سلم،إبراء المرضى والمصابين ،إبراؤه صلى الله عليه وسلّمّ طفيل العامري من الجذام ،استرجاعه عين قتادة بن الربيع في غزوة أحد،نفثه على معود بن عفراء الذي قطعت يده يوم بدر فقام الرّسول صلى الله عليه و سلم بإلصاقها،إضافة إلى هذه المعجزات كانت هناك معجزات متعلقة باستجابة الطبيعة بمكوناتها وعناصرها لندائه صلى الله عليه و سلم مثل قدوم الشجرة إليه حين دعوته صلى الله عليه وسلّمّ لها،وتسبيح الحصى في كفّه ،وخروج الماء من يديه بالضّبط من أصابعه بالأخص في غزوتي تبّوك والحديبيّة،وذِكرُ الشاعر لهذه السّلسلة من المعجزات هدفه تعريف المتلقي بالسيرة العطرة للنبي صلى الله عليه وسلّمّ وتبيان دعم الله عز وجل لنبيّه في كل المواقف،علاوة على هذا بيّن الشّاعر مدى ثبات الرسول صلى الله عليه وسلّمّ أمام جور وبغي المشركين،الذين ضاقوا ذرعا وضجروا من حكمة هذا الرجل وقوته وحنكته وبلاغته هذه الأخيرة التي أفاضت الكأس وجعلت كفة المشركين تتلاشى وتهون في ظل عدم توازن القوى فبلاغة الرّسول صلى الله عليه وسلّمّ لا تضاهيها أيّ بلاغة،وقد أشار "الجاحظ" في طروحاته لبلاغته صلّى الله عليه وسلّمّ وقدرة فاعليتها وقوّة تأثيرها على المتلقي لما تتسم به من مؤهلات بيانية مفعّلة بالمنطق ورجاحة العقل وهذا ما أكد عليه في كتابه"البيان والتّبيين " حين قال فيه عن كلام الرّسول صلّى الله عليه وسلّمّ بأنّه "**هو الكلام الّذي قلّ عدد حروفه وكثر عدد معانيه وجلّ عن الصّنعة ونزّه عن التّكلف**" [29]،لقد تعمّق الجاحظ في دراسة وتفكيك الخطاب النّبوي الشّريف وأكد على خصوصيته وعدم مماثلته مع أيّ كلام بشريّ اخر بحكم أنّه جمع بين النّفحة الإلهية والأداء البشريّ لأنّه النّموذج الّذي ترتقي فيه رجاحة العقل وقوّة المنطق ليستوي الكلام ضمن لسان قويم وحكيم .

يقول الشّقراطيسي في فصاحة الرّسول صلى الله عليه وسلم وبلاغة القرآن الكريم:

أعجزتَ بالوحيّ أربابَ البَلاغة في عصر البيَان فضلّت أوجه الحيل

سألتهم سُورة في مثل حكمَته فتلّهمَ عنه حين العَـجز حين تُلي

فرام رجسٌ كذوبٌ أن يعارضه بسخف إفك فلم يحسن ولَم يطـلِ

مثبج بركيك الإفك ملتبس ملجلج برداءِ الزُّورِ والخـــطلِ[30]

الملاحظ في هذه الأبيات أنّ الشّاعر عرض لنا المعجزة التي أعجز بها النبي صلى الله عليه وسلّمّ الكفار،ألا وهي معجزة الإعجاز القرآني وبلاغته التي تفوقت على كل عمل بشري فالمصطفى صلى الله عليه و سلم كونه حامل الرّسالة وناقل الوحي الرّباني إلى البشر تفرّد بهذه الخصال، وكان له شرف حمل رسالة القرآن إلى البشر بفصاحة وبلاغة وحكمة لا متناهية،فقد جاء الرسول صلى الله عليه و سلم حاملا رسالة الكتاب الكريم والذّكر الحكيم ليعجز فصحاء القوم ببلاغة هذا الكلام الذي لم يرد على لسان أي عربيّ هذا ما جعل الكفار يتهمونه بقول الزور والبهتان،وردّ القرآن الكريم على هذه الاتهامات بقوله تعالى في آيات بيّنات:

"**وقالَ الذِينّ كَفَرُوا إن هَذا إلاَّ إفْك افتراهُ وأعَانهُ عليهِ قومٌ آخرونَ،فقدْ جاءُوا ظلمًا وزورا (4) وقالُوا أساطيرُ الأوّلينَ اكتَتَبَهَا فهي تملي عليه بكرةً وأصِيلا(5)** "[31] برّأ الله عزّ وجلّ رسوله الكريم في هذه الآيات الكريمات وأعلى شأنه ونصره نصرا مبينا كرّد مفحم على اتهامات الكفار.

استرسل الشاعر في سرده لسيرة النبيّ صلى الله عليه وسلّمّ مادحا إياه لقوته في مواجهة أذى المشركين وبذلك انتقل إلى محور آخر وهو القوّة في مواجهة الأذى ،وبذلك كشف لنا عن قدرة الرّسول عليه الصلاة والسلام في تخطي أذى قريش وبطشهم ،من خلال قوله:

برئت من دين قومٍ لا قوامَ لهم عقولهم من وثـــاقِ الغيّ في عُقـلِ

يستخبرونَ خفيّة الغيبِ من حجرِ صلدٍ ويرجونَ غَوثَ النّصرِ من هُبل

نالوا أذى منك لولا حلمِ خالقهم وحجّةَ الله بـــالإنذار لم تنـــلِ

واستضعفوا أهلَ دينِ الله فاصطبَروا لكلّ معضلٍ خـــطبٍ فادح جللِ

لاقى بلال بـــلاءَ من أميّة قـــــد أحلّـــه الصّبرُ فيه أكـــرمَ النّزلِ

إذ أجهدوه بضنك الأسر وهو على شدائد الأزل ثبـــت الأزر لم يـــزلِ

نفرت من نفر لم ترض أنفسهم إذ نافروا الرّجس إلاّ القدس من نفلِ

بأنفس بُدّلت في الخلد إذ بذلت عن صدق بذل ببدر أكرم البـدلِ

غادرت جهلَ أبي جهل بمجهلةٍ وشابَ شيبةَ قبلَ الموتِ من وجلِ[32]

تبرز هذه الأبيات ذلك الصراع الدائر بين قوّة الحقيقة وضعف الباطل والجهل الذي كان سائدا في عصر صدر الإسلام وتظهر نيّة الغدر لدى الكفار من أجل إلحاق الأذى بالنبي عليه الصلاة والسلام وصحابته وبالمسلمين من خلال تعذيبهم والتنكيل بهم والمساس بكلّ من كان في صفّ الرّسول صلّى الله عليه و سلمّ ،إلاّ أنّ رّد الطرف الآخر كان مسكتا بحكمة وبقوّة وبصبر كبير،لقد تشبث الرّسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه والمسلمين أجمعين بعقيدتهم وحافظوا على إيمانهم ووقفوا للعدوّ وقفة شامخ ،واستدّل الشّاعر في نصّه الشعري بدليل محكم لمؤذن الإسلام والمسلمين "بلال بن رباح" الذي تلقى كل

أنواع الشّتم والسّب وتعرّض لتهديدات كثيرة بالقتل فجاءه بلاء عظيم أن نُكِل بجسده بوضع صخرة على بطنه من أجل إقناعه بالتراجع عن دين الإسلام و والتوقف عن إسماع الأذان فكان جوابه صبرا وثباتا وإصرارا على المضي قدما، يقدم الشّاعر دليلا آخر على القدرة على المواجهة وقوة الإيمان وكان النموذج الأمثل هو النّبيّ الكريم صلى الله عليه وسلم الذي غادر أهله ونفره لإنقاذ الرّسالة وهذا استجابة لأمر الله عز وجل وقد وجد العوض الجميل في أهل آخرين وفي مؤمنين صادقين شدّوا أزره وهم الأنصار الذين ساندوا الرّسول صلى الله عليه وسلّمّ بعد تجبّر وتكبّر المشركين،كما يشير الشاعر إلى انبطاح قادة المشركين الواحد تلو الآخر من بينهم "أبي جهل "الذي كان من أشدّ النّاس عداوة وكرها للدين الإسلاميّ وعمد مرات عديدة لقتل الرسول صلى الله عليه وسلّمّ لكنّه فشل وكان مقتله شنيعا وعبرة لمن يعتبر.

بعدها ينتقل الشاعر في نصه الشعريّ إلى محور آخر يعرض فيه عفو الرّسول صلى الله عليه و سلّمّ وتسامحه مع الكفار والمشركين في مشهد إنسانيّ راق يقول الشّاعر "الشقراطيسي":

فجدتَ عفوا بفضلِ العفوِ منك ولم تلمم ولا بألـيم اللّومِ والعــذلِ

أضربت بالصّفح صفحًا عن طوائلِهم طولاً أطال مقيلَ النّوم في المقــلِ

رحِمْتَ واشج أرحـــام أتيحَ لـــها تحت الوشيجِ نشيج الرّوع والوجلِ

عاذوا بظلّ كريم العفوِ ذي لطف مبارك الوجهِ بالتّوفيقِ مشتمــلِ

أزكى الخليقة أخلاقًا وأطهرها وأكرم النّاس صفحًا من ذوي الزّلِلِ

وطفت بالبيت محبورًا وطافَ بها من كان عنه قبيل الفتحِ في شغلِ[33]

يعرض الشّاعر في هذه المقتطفات الشّعريّة خصائل وشمائل الرّسول صلّى الله عليه وسلّمّ من عفو وتسامح وصفح ورحمة ،وينقل لنا حدثا تاريخيا كبيرا وهو دخول الرّسول صلى الله عليه وسلم مكّة المكرّمة منتصرا بجيش عظيم جدا و يصور لنا انكسار شوكة الكافرين الذين هزموا في عقر ديارهم وضاقت بهم مكة بسعتها، ورغم رجحان كفة الرّسول صلّى الله عليه وسلّم بقوة العدة والعتاد إلا أنّه وقف وقفة انسانية تسامى فيها الصّفح البشريّ وتجسدت فيها الرّحمة الانسانية وقال قولته الشهيرة صلى الله عليه و سلّم" اذهبوا فأنتم الطلقاء الأحرار"،وبين طيات هذا الموقف العظيم صنعت صفحات تاريخية مهدت لشمولية الرسالة المحمدية وانتشارها عبر كل بقاع المعمورة وكانت الضريبة صبر وثبات وإيمان المسلمين،ووَصفَ الله عز وجل في هذا الموقف رسوله الكريم ،وذلك في سورة "التوبة "حيث قال عزّ وجلّ :**" لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم** [34].

4-ج:خاتمة الشقراطيسيّة:

يمكن القول أن استهلال القصيدة مفتاحها،أمّا الخاتمة فهي نهايتها وانتهاؤها وفي هذا الصّدد يقول"ابن رشيق" في بابي المبدأ والخروج و النهاية" **خاتمة الكلام أبقى في السّمع وألصق بالنّفس لقرب العهد بها فإن حسنت حسنَ وإن قبحت قبح والأعمال بخواتيمها** "[35] ،رام الشاعر إلى أن يكون الختام بالرجاء وطلب الشفاعة من الرسول صلى الله عليه وسلم في يوم القيامة وتمّ التّمهيد لهذا الطلب بقوله :

قُم يا محمد فاشفَع في العبَاد وقُل تُسمَع وسَل تعطَ واشفَعْ عائدًا وسَلِ

والكوثرُ الحوضُ يروي النَّاس من ضمأ بُرح وينقع منه لاعجَ الغَلِلِ

أصفى من الثَّلج إشراقا مذاقته أحلَى من اللّبن المضروبِ بالعسلِ

نحلتُك الودّ عَلّي إذ نحلتُكَه أحبّي بحبّك منه أفضلَ النِّحَلِ

فما بجلدِي بمسّ النّار من جلَد ولا لِقلبي بهولِ الحشر من قِبلِ[36]

في هذه الأبيات يمدح الشاعر النّبيّ عليه الصلاة والسلام ويؤكد له حبّه الكبير وإخلاصه له لما جاء به من دين ورسالة محمدية سامية،ويخاطب نبيّه في معرض الأبيات الآنفة الذكر ويستحضر وجوده وكأنه أمامه بقوله له: قم يا محمد اطلب ما تشاء فلك القَبول والإشادة وشفاعتك مقبولة في يوم تتجّه فيه كلّ الوجوه إليك وتحدّق الأبصار بك،رغبة في النّجاة والخلاص من هول الحشر،وطمعا في شربة ماء من الكوثر الحوض.

وصل الشاعر الى ختام قصيدته التي احتفت بالرّسول صلّى الله عليه وسلّمّ نبيّا و انسانا وقائدا وبليغا وحكيما ورئيسا وطافت بكل محطات سيرته النّبويّة الشّريفة ، يقول الشّاعر ختاما:

يا خالقَ الخلقِ لا تخلُق بما اجترمت يدَاي ووَجهي من حوب ومن زلَلِ

واصحب وصلّ وواصل كلّ صالحة على صفيك في الإصباح والأُصُلِ[37]

في هذين البيتين الخاتمين للقصيدة يخضع الشّاعر لعظمة ربّه خالق الأكوان طالبا منه راغبا راجيا المغفرة والثّواب عن كل زلاته وأخطائه وهفواته،وأن يتجاوز عن سيئاته،وأن يجازيه حسن الجزاء على أعماله الصّالحات بالحسنات وبالفوز بجنة الرّضوان، ويستكمل نظمه في مطولته المدحيّة بالصّلاة على النّبيّ صلى الله عليه وسلّمّ في الإصباح والآصال وبهذا ينهي قصيدته الشعريّة في مدح النبيّ صلّى الله عليه وسلّمّ هذا النّبيّ الذي لاتكفي القصائد بل المطولات في مدحه ووصفه وصدق المقريّ حين قال : "**الأمداح النّبويّة بحر لا ساحل له** "[38] .

5-دراسة جمالية :

إن الجمالية هي مفهوم أوسع من الجمال إذ لا تشير الجمالية الى الجميل فحسب ولا إلى مجرد الدراسة الفلسفية **بل تتجاوز ذلك إلى دراسة كل ما يتعلق بالإحساس والتأمل والتفاعل مع الظواهر الفنية** ..[39]،وللوقوف على جمالية النص الشعري وجب الوقوف على أهم العناصر والمرتكزات التّعبيريّة الجمالية التي أسهمت في هذا المشهد الفنيّ.

عطفا على ماسبق نحاول ملامسة الحس الجمالي في هذه القصيدة المدحية و وبقراءة تأثريّة نقف على أهم المحاور الجمالية لكن بعيدا عن تطبيقات **الجمالية التي هي نزعة مثالية تبحث في الخلفيات التشكيلية للإنتاج الأدبي والفني وتختزل جميع عناصر العمل بمقاييسه الجمالية،بغض النظر عن الجو انب الأخلاقية انطلاقا من مقولة الفن للفن**[40]فنحن أمام نص هادف يحمل خطابا دينيا قويا بالحجة والبرهان لهذا فلا يمكن إقصاء المضمون والاكتفاء بالشّكل .

نحن نعلم يقينا أن معايير مواطن الجمال تختلف من متلقي لآخر ومن تأثير نص لآخر لأنّه يرتبط بالميول والأذواق باعتبار أن تأثير النص على القارئ هو عملية ذوقية فردية بين الأفكار والصور والإيقاعات والأساليب والموسيقى واللغة الشعرية .....،ولكننا سنركز على الصور الشعرية والموسيقى بإيقاعاتها مع تبيان دورهما في إحداث الصبغة الجمالية على النّص الشّعري.

5-1:الصّورة الشّعريّة :

إن الصورة الشعرية من أهم ركائز التشكيل الشعري يستخدمها الأديب الشاعر للتعبير عن أرائه المختلفة وانفعالاته وتجاربه النّفسية والاجتماعية،وبالتالي هي احدى أعمدة البناء الشعري يتم من خلالها نقل المـعاني

وتجسيدها وتقريبها من دائرة الفهم عند المتلقي ،**وهي طريقة خاصة من طرق التعبير أو وجه من أوجه الدلالة تنحصر أهميتها فيما تحدثه في معنى من المعاني من خصوصية وتأثير**[41] ،وعلاوة على أهميتها الدّلالية تضفي الصّورة الشّعرية حسا جماليا بالغ الأهميّة،لكن الواجب قوله أن الصّورة الشّعريّة تتحقق جماليتها بتفاعلها مع بقية العناصر المسهمة في بناء النّص الأدبيّ بعيدا عن الانعزال و الانفراد ،ولكن الأكيد أنه لا يمكننا تخيّل وتصور العمل الأدبي بشكل عام و النصوص الشعرية بشكل خاص دون عنصر التصوير الفني فهو يعطي صبغة فنية إبداعية تصنع صورة جمالية مستقطبة للمتلقي ،وبإسقاط هذا الحكم على قصيدة الشّقراطيسية نجد أنها طافحة بالصّور الفنيّة باختلاف أنواعها لكننا سنركز في دراستنا هذه على الصورة الاستعارية والتشبيه لأن الشاعر اعتمد عليهما بشكل مكثف .

1-5-ا:الصورة الاستعارية:

إن الاستعارة هي تشبيه حذف أحد طرفيه الرئيسيين،وعلاقتها المشابهة دائما **وهي قسمان تصريحية وهي ما يصرح فيها بلفظ المشبه به،ومكنية وهي ما حذف فيها المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه**[42]

يقول الشقراطيسي في البيتين "الخامس" و"الثّامن":

ضاءت لمولده الآفاقُ واتّصلت بشرَى الهواتفِ في الإشراقِ والطّفلِ

خرّت لمبعثهِ الأوثان وانبعثت تراقب الشّهبَ ترمي الجن بالشُّعلِ[43]

في هذين البيتين صور لنا الشّاعر مشهد المولد النّبوي الشريف الذي أضيئت فيه الأنوار،وابتهجت فيه الكائنات،وأشرقت الدنيا فرحا وسعادة على إثره،ومن بين الاستعارات التي وظفها الشاعر حسبنا دليلا : ضاءت الآفاق،اتصلت بشرى الهواتف ،خرّت الأوثان..، من خلال هذه الصور الاستعارية نقل لنا الشاعر المشاهد بتصوير دقيق وجسّد لنا المقاصد باستعارة صفات و خصائل إنسانية مثل:خرّت ،تراقب... وهذا من أجل تقريب الصور من ذهن المتلقي .الملاحظ أن الشاعر استخدم الاستعارة المكنية بشكل مكثف في نصّه الشّعريّ لأنها الأقرب والأنسب لتصوير بعض المشاهد والمواقف الخالدة في السيرة النبوية،كما أنها تؤثر على المتلقي تأثيرا دلاليا وجماليا .

وفي بيت آخر يقول الشّاعر:

زُهر من النّور حلّت روضَ أرضهم زهرًا من النورِ ضافي النّبت مكتهلِ [44]

جسّد لنا الشاعر في هذا البيت الشعريّ مشهدا طبيعيا مكتمل الأركان بواسطة هذه الصورة الاستعارية" زهر من النور حلت" فنسج خيوط تلك اللوحة الطبيعية الجميلة المعبرة ،وقد استعان بالطبيعة كونها ولاّدة لجلّ مظاهر الجمال والحسن والإشراق ،وجمالية هذه الاستعارة المكنية تكمن في إثارة وجدان المتلقي و فتح أفق التّخيّل عنده من خلال تمكينه من الربط بين المعنويّ والمحسوس وكذلك قدرتها على الإيجاز والإيحاء في الوقت ذاته .

ووقوفا عند أهمية الاستعارة في النّصوص الشّعريّة نذكر وصف الدكتور "محمد عزام" للشّاعر الذي يوظف الصورة الاستعارية بشكل مكثّف حيث يقول "**إنّها الاستعارة الشيء الوحيد الذي لا يلقن وإنها سمة العبقرية**"[45] يقال هذا الكلام لأن الاستعارة لها قدرة هائلة على الولوج إلى خواطر ومشاعر وأحاسيس القارئ فتأثيرها ذهني وحسي وعاطفي .

قال الشقراطيسي:

توراة موسى أتت عنه فصدّقهَا إنجيلُ عيسى بحقّ غيرُ مُفتَــعل

أخبارُ أحبارِ أهلِ الكتبِ قد وردَتْ عمّا رَأوا ورَووا في الأَعْــصر الأوّل

ويوم مكّة إذ أشرفَت في أمم يضيق عنها فجاجُ الوعدِ والسّهلِ

وكفرٌ في ظلماتِ الخزي مرتكسٌ ثاو بمنزلةِ الهمـــــوت من زحَل[46]

شبّه الشاعر في الأبيات الآنفة الذكر" توراة موسى "بالانسان في صفة مخصوصة مشتركة وهي المشي،وبذلك جسّد حالة دينية سائدة وشبّه كذلك مكة بالشّمس التي أشرقت بمولده وبمجيئه صلى الله عليه وسلم ،فكل مظاهر الطبيعة تسجد لمشاهد المولد النبوي الشريف،واستعان الشاعر بالليل والشمس و الانسان كي يجسد المعنى الذي أراد إيصاله،وربط الكفرة بالظّلمات وبالسواد الدامس،أما مجيء النّبوة فجسّدها بمعان مناسبة على غرار النّور ، الإشراق والضّياء في قوله –ويوم مكّة إذ أشرقت -،والملاحظ أنّه استعار صفة من صفات الانسان وأطلقها على الليل أو على المكان مكة أو على السماء وإلى غير ذلك ،وجسد مشهد دخول النبي صلى الله عليه وسلم فاتحا مكة بالشمس الجديدة التي أطلت وأعلنت ميلاد يوم جديد مليء بالإشراق والإصباح.

هناك استعارات كثيرة في القصيدة ولا يمكننا التطرق لها جميعها من بينها :" الماء ينبع وجودا من أناملها :البيت 35" ،"الأرض تزحف :البيت 94"، "سمت بك المهابة :البيت 92"،" أعادت تلك العروق :البيت 11" ،"أشرقت في أمم :البيت 86" ....ليست هذه كل الاستعارات الواردة في القصيدة الشعريّة بحيث لم نتمكن من ذكرها لكثافتها لكن على العموم وجب التّنويه إلى أن الشّاعر انتقى الصّور الاستعارية بشكل محكم من أجل تجسيد أبعاد دلالية ،وكذلك لأنّ الصور الاستعارية تتميّز بأنّها الأقرب إلى النفس تلك النفس التي تعيش اغترابا عن مكان الحدث فذلك الحنين عوضه الشاعر بهذا الانتقاء في الصور حتى يقرّب المشهد من نفسه ومن نفس المتلقي ،ويجسد كل ما هو معنوي وهذا ما يؤكد عليه" شارل بالي "في قوله تمثل اللغة الاستعارية وسيلة التعبير وهي بذلك تعمل على تحقيق مختلف أنواع الأفكار والإحساسات[47]،وتزيد من جمالية النصوص الشعرية بإثرائها للعمق الدلالي وتجسيدها للجمال الفنيّ.

1-5-ب.الصورة التشبيهية:

إنّ التشبيه هو عمود من أعمدة التصوير الفني فهو يزيد الكلام جمالا وحسنا وروعة، كما أنّه يوضح الدلالات والمعاني ويجعلها أكثر دقة وجمالا، وفي نص "الشقراطيسية" لاحظنا أن الشاعر وظف الصور الاستعارية أكثر من التّشبيهية ، لكن هذا لا يعني أن الصّور التّشبيهية الواردة في القصيدة ليست مهمة أو فعالة بل بالعكس كانت عنصرا أساسيا في هذا العمل ومن بين التشبيهات الواردة نذكر بعض النّماذج:

يقادُ في القدّ خنفًا مشربًا حنقًا يمشي به الذُعر مشيَ الشّارب الثّملِ

كأنّه منطق الورهاء شدّ بهِ لبس من الخَبل أو مس من الخـــبل

يوحّد الله إخلاصًا وقد ظهرتْ بظهره كندوبِ الطّلِ في الطّلّـــــلِ

وكل أشوسَ عاتَ القلبِ منقَلب جعلته لِقَليبِ البئرِ كالجُعـــــــلِ

قالو محمّدٌ قد زارتْ كتائبهُ كالأسدِ تزأرُ في أنيابها العُـــصُلِ[48]

في هذه الأبيات شبه الشاعر مشي الكافر وهو منحني وخائف مفزوع بمشي الشخص الثمل المخمور وهنا ماثل صورة كاملة الأركان بصورة أخرى مشابهة،وهذا ما يسمى بالتشبيه التمثيلي لأن الصورة مركبة من عدة عناصر وانتقاء الشاعر لهذه الصورة الفنية التشبيهية كان موفقا إلى حد بعيد لأنه اجتهد في ايجاد صورة خيالية متكاملة ذات قيمة فنية ودلالية ،كما شبه الشاعر مشركي وكفار قليب بالجعل وشبه المسلمين الذين فتحوا مكة المكرمة مع النبي صلى الله عليه وسلم بالأسود والأبطال.

لاحظنا من خلال هذه الأبيات أن الشاعر أراد أن يوظف صورا تشبيهية تقريبا كاملة الأركان باستخدام أداة التشبيه وهذا حتى يتفادى المبالغة بالتشبيه البليغ وكذلك يقرب الصور الحقيقية من الصور الخيالية التي رسمتها ذائقته الشعرية وخياله المطلق وهذا ما زاد في قوة التعبير وبلاغته وعمق دلالته ، فالمتلقي يتلقى كل هذه الصور الشعرية بإيمان وبدقه ووضوح لأنها تحكي أحداثا حقيقة وواقعية وتوثق وتؤرخ لمرحلة تاريخية من تاريخ المسلمين ألا وهي مرحله صدر الإسلام.

وكما يقول الدكتور" ناصر علي" **توظيف الشعراء للصور التشبيهية في نصوصهم الشعرية ليس للمقارنة بين شيئين ولا للتفضيل واختيار أحدهما على الاخر إنما هي طريقة لنقل الحالة الشعورية التي تسيطر على الشاعر**[49]" وهذا ماجسدته الصور التشبيهية في قصيدة الشقراطيسية التي على الرّغم من قلتها إلا أنها أسهمت في خلق فضاء دلالي معمق بأبعاد جمالية.

2-5:الموسيقى الشّعريّة:

يمكن القول أن الشعر والجمال خطان متقاطعان أو متقاربان في حقل فني واحد فلا يمكن أن يكون الشعر بلا جمال ولا يمكن أن يكون الجمال بلا شعر خصوصا وأنّ الشعر يرتكز على مجموعة من المقاييس الجمالية فعلامات الجمال في الشعر لغته وأسلوبه وإيقاعه وصوره ودلالاته ونحن اخترنا من العلامات الجمالية الموسيقى لأنها **تضفي على العمل الأدبي إشعاعا جماليا ولأن الجمال هو التناسب بين الأجزاء المادية والبنى الإيقاعية إحداها** [50]والإيقاع من أقوى عناصر الإيحائية في النّصوص فتأثيره نابع من اللّحن والصوت فلا قوامة للإبداع الأدبيّ دونه .

5-2-أ:البحر:

تميزت قصيدة الشّقراطيسيّة بانتمائها إلى البحر البسيط الذي هو من البحور الكثيرة التداول عند العرب فهو من الأوزان الغنائية التي تستقطب الشعراء والفنانين،البسيط الذي هو مبني على "مستفلن،فاعلن"ثمانية أجزاء ،وإنما سميّ **بسيطا لانبساط الأسباب في أول أجزائه في الدائرة وقيل لانبساط الحركات في عروضه ،يتميز بسيمات حركية يمكن من خلالها أن تستوعب وتلم بآهات وألام وتجارب وخلفيات المبدع**[51]، يعّد هذا البحر رائدا عند أصحاب البديعيات وهو من أكثر البحور عراقة وشيوعا.

سارت قصيدة الشّقراطيسيّة على نغمات وتدفقات البحر البسيط فبنية القصيدة ومواضيعها وأصواتها تطابقت مع إيقاعاته وتفعيلاته ومن محاسن انتقائه أنّه أسهم في إبراز الغاية الشعرية والشعور النفسي الكامن في ثنايا النّص الشّعريّ ، فلا شك بأن البسيط هو الأنسب للنفس المشتاقة بحب وحنين وللنفس المتأملة وللنفس الراغبة في العطاء ،وللنفس المنكسرة الشاكية ،فالشقراطيسي زرع في قصيدته مشاعر جمّة تختصر حبّه للنبي صلى الله عليه وسلم وشوقه إليه ولوعة النّوى عنه صلى الله عليه وسلمّ ، واحتضن البسيط كلّ هذه العواطف لأنّ فيه كلّ سيمات الليونة والانسياب والسّهولة.

المستنطقُ لتواجد البحر البسيط في القصيدة يرى بأنه ارتكز على تفعيلاته التي كانت موزعة بالتساوي بين الصّدور

والأعجاز،ويرى بأن الشاعر انتقى الأجود باعتماده على العروض الأولى التّامة التي كانت على وزن "فَعِلُنْ" بضربها الأوّل المخبون وهذا الضرب مستحسن عند الشعراء والنّقاد وهذا ما وردت عليه أبيات القصيدة من بينها البيت الأوّل:

الحمدُ لله منّا باعث الرّسل هُدى بأحمدَ منّا أحمد السّبل[52]

الوحدات الإيقاعية لهذا البيت هي على التوالي (مستفعلن فعلن مستفعلن فعلن /متفعلن فاعلن مستفعلن فعلن) ونلاحظ التغيير الذي أصاب التفعيلة الأصلية مستفعلن التي تحولت إلى متفعلن وهذا زحاف مفرد ورد في عدة أبيات، وهذا التكرار المتعلق بزحاف الحذف له أثره في إحداث حركة إيقاعية مرنة على البنية الموسيقية داخل النص الشعري ،وقد تكرّر هذا الأمر على مدار 133بيتا شعريا وفقا لمتطلبات الأغراض الشعرية في القصيدة والمعاني الإنسانية الواردة والمشاعر النفسية لدى الشاعر.

أحدث البحر البسيط جمالية في النّص الشّعريّ من خلال تنوع الإيقاع وسهولته و إضفاء نوع من الليونة والانسياب على الأبيات الشعرية وهذا يتناسب مع المديح النبوي الشريف الذي لديه تلاءم مع ميسور الأوزان ،كما أنّ البحر البسيط بانسيابيته يفتح الباب واسعا أمام بناء الصور الشعرية وتكثيف الأحاسيس الداخلية واستخدام المحسنات البديعية اللفظية والمعنوية لإثراء البناء الموسيقي بشكل عام .وبالتالي الشاعر وفِق في الاستعانة بالبحر البسيط لأنه ساعده في ضبط نفسه الطويل كما أنّه وفّر له مساحة كافية لنقل عواطفه الدينية وعرضه لخطوات الدعوة المباركة و استعراضه للشمائل والتحديات وأهم المعجزات مع تجسيد صور البطولة والانتصار.

ب- الإيقاع الداخلي :

يطفو الإيقاع الداخلي بجمالية الى سطح ذائقة المتلقي لا لشيء إلا لأن الشاعر يرتبه قبل أن يرتب كلماته فيتذوق الأوزان بأحاسيسه وعواطفه وهو يكتب نصه" **وكأنه يسمع الموسيقى في ترنيمة العصفور وولولة العاصفة وزائر اللجة وخرير الساقية وهذيان الشيخ فالحياة كلّها عنده ليست سوى ترنيمة محزنة أو مطربة يعبر عنها بعبارات موزونة رنانة فالوزن والتناسب في الطبيعة أخوان لا ينفصلان** [53]

يمكننا القول أن الإيقاع الداخلي هو الموسيقى الصوتية التي بدورها ترتكز على عدة عناصر من بينها الحروف الصوتية ،التكرار والتقابلات التركيبية،الوحدة المعجمية ،إيقاع التضاد،إيقاع التجنيس...،ونحن سنركز في هذا الجانب على التكرار والتجنيس لأنهما قد أسهما بشكل مباشر في بناء إيقاع داخلي محكم وازن بين المعاني والنّغمات الموسيقية والجناسات..

ب-1:إيقاع التكرار:

المقصود بالتكرار هنا تكرار الحرف أو الوحدة المعجمية المتكونة من الاسم أو الفعل أوتكرار الجمل ذات الدلالة الفاعلة في النّص الشّعريّ ،ولا ينبني التكرار بأنماطه المختلفة على الغاية الدلالية فقط **إنّما هو ظاهرة موسيقية تخلق توازنا إيقاعيا داخل النّص يتو افق مع الحالة الشعورية للشاعر،كما يجعل القصيدة منسجمة ومتماسكة الأركان ويشيع فيها لمسات عاطفية وجدانية يصنعها إيقاع المفردات المكررة بشكل تصحبه الدهشة والإمتاع** [54]،أحدث التكرار جمالية لا متناهية في كل أبيات القصيدة فلا يكاد يخلو بيت من إيقاع داخلي متوازن على إثره،وعلى ضوء الإحصاء نجد أن التكرار طاغ في القصيدة من البيت الأول إلى غاية البيت 133 نذكر على سبيل المثال الأبيات التالية : 7، 12، 18، 30، 44 54،، 60، 62، 63، 64، 68، 64، 81 82 85، 97 ،117،103، 120، 131،124،نلاحظ أن الشاعر اعتمد في هذه الأبيات على أنماط متعددة

من التكرار ألا وهي:التكرار الصوتي، التكرار اللفظي .. سنقف على تجليات هذه الظاهرة للكشف عن جمالياتها ووظائفها ونظرا لكثافة النماذج سنختار الأكثر تأثيرا في النص:

يقول الشقراطيسي :

أخبار أحبارِ أهلِ الكتبِ قد وردت عمّا رأوا ورووا في الأعصـــــر الأوّل

خرّت لمبعثه الأوثان وانبعثـــــــت ثواقب الشّهب ترمي الجنّ بالشّعل[55]

وظف الشاعر في البيت الرابع أخبار وأحبار وكذلك "رأوا ورووا "والملاحظ أن هناك تشابه كبير في الأحرف التي كانت في معظمها مكررة ومتقاربة و هذا التكرار في أذن السامع جمالا صوتيا يجدب المتلقي بلذة سمعية متناغمة .

لو نلاحظ هذه الكلمات مبعثه الأوثان، انبعثت و ثواقب نجد أن الشاعر استخدم حروفا متشابهه حيث كرّر حرف الثاء أربع مرات وحرف الباء ثلاث مرات ،وحرف العين ثلاث مرات ،وحرف الواو ثلاث مرات وعلى ضوء هذا التكرار تم إبراز الدلالة وتدعيم قوة المعنى، إضافة إلى إحداث نغم موسيقي سمعي مختلف نظرا لثقل هذا الحروف وبعد تأثيرها في أذن السامع .

يقول الشاعر الشقراطيسي :

غادرتْ جهلَ أبي جهلٍ بمجهلةٍ وشابَ شيبةُ قبلَ الوقتِ من وجلِ

خوافقٍ ضاقَ ذرع الخَافقَينِ بها في قاتمِ من عجاجِ الخيـــلِ والإبلِ[56]

نلاحظ أن حرف الجيم في البيت الأوّل قد تكرّر أربع مرات ،كذلك حرف اللام وحرف الشين مرتين وهذا التكرار أحدث تجانسات بين الحروف والكلمات في البيت الشعري،وتركيز الشاعر على هذه الأحرف في إدارة المعنى والمبنى في هذا البيت الشعري وفي القصيده بشكل عام، لأنها حروف متجانسة ومتلائمة ومتوائمة، من أجل خلق وحدة صوتية متماسكة، تمتع القارئ وتمنحه تجربة جمالية ماتعة إضافة إلى تعزيز الغاية الدلالية فأغلب الحروف التي كرّرها الشّاعر ذات طابع روحي وتتناسب مع موضوع القصيدة الشّعرية.

أمّا البيت الثاني فوردت فيه الكلمات التالية: خوافق،ضاق،الخافقين،قاتم،الخيل،الإبل ،نلاحظ أنّ الحروف البارزة والمؤثرة والمتشابهة هي القاف ،اللام، الفاء والخاء وهي كذلك حروف متجانسة وهذه هي الميزة التي تفرّد بها الشاعر في نصّه وهي جنوحه للحروف المتوائمة والمتجانسة وقد ظهرت هذه الخصوصية في أغلب أبيات القصيدة ،لكن بالرغم من كثرة الحروف المكرّرة إلا أن الشاعر كان له في كل بيت حرف مؤثر يرتكز عليه ،وهنا تكمن الجمالية وتكتمل الصورة الإيقاعية ومما لاشك فيه أن تلك الحروف المؤثرة هي مركز العملية الإبداعية في النّص الشعريّ

لقد حول الشاعر الأحداث التاريخية الواردة في هذه القصيدة المدحية إلى لوحة فنية ذات نغمات موسيقية متجانسة ومتوازنة الإيقاع بتكراره للمهموسات: الفاء ،الخاء والصاد والشين ...لأنها تتناسب مع موضوعات القصيدة (الشوق ، التأمل ،طلب الشفاعة ،الرجاء..)كما أنها تضفي على النص إيقاعا هادئا وسلسا،لكن هناك بعض المواطن التي طغت فيها الحروف المجهورة : العين،الغين ،اللام ..والتي بدورها تمركزت في بعض مواطن القوة مثل سرد الشاعر للمعجزات الخالدة أو ذكره لقوة ردّ المسلمين على الكفار بقيادة حكيمة للرسول صلّى الله عليه وسلّمّ ،هذا عن التكرار الصوتي ،كذلك الأمر مع التكرار اللفظي لاحظنا أن الشاعر اعتمد على تكرار بعض الكلمات المحورية في القصيدة في البيت الواحد حيث ترد الكلمة الواحدة في الشطر الأول ثم ترد في الشطر الثاني ونذكر تكرار هذه الكلمات على سبيل المثال : الخيل ، الخيل/النحل،النحل/غير،غير

/اشفع ، اشفع/ الغل، الغل

ولعل الغاية من هذه الظاهرة الأسلوبية هي إبراز دور المفردة المكرّرة في السياق الشعري وتعزيز جمالية الإيقاع الدّاخلي وتحقيق توازن هيكلي ونسقي بين أجزاء القصيدة.

بالنظر إلى كلّ هذه المعطيات يدرك المتلقي بأنّ الشاعر حوّل هذه المعطيات التاريخية الفاصلة والفيصل في تاريخ السّيرة النّبوية الشّريفة بتفاصيلها المختلفة إلى لوحة فنية صوتية ذات نغم موسيقي متجانس والأكيد الدافع وراء ذلك هو إحداث حالة شعرية جديدة ذات خصوصية تتميز عن باقي النصوص الشعريه التي كانت في الفترة الزمنية ذاتها .

ب-2:إيقاع التّجنيس:

تطور علم البديع في المغرب الإسلامي في بدايات القرن الخامس الهجريّ ،وتبلور معه إيقاع التجنيس الذي نحا إلى مذهب فني قائم بذاته له أثره البالغ على جمالية النّص الشعريّ وتشكيل الإيقاع الشعريّ ويمكن القول أنّ التجنيس هو : **تشابه الكلمتين في اللفظ** [57] وهو أن تأتي كلمة تجانس الأخرى ، واللغة العربية ثرية بهذا النوع من الألفاظ ،ويأتي الجناس ضمن نوعين جناس **تام تتفق فيه اللفظتين في الحروف والحركات والترتيب والهيئات وجناس غير تام ناقص يتم الاختلاف فيه في العناصر المذكورة** [58] يمكن القول أن ظاهرة التجنيس شاعت في شعر المغرب الإسلامي ويرى بعض النقاد بأن هذه الظاهرة هي نزوع نحو التكلف والمبالغة والتصنع وبأنّها تتم بشكل غير عفوي، في حين يرى البعض الآخر بأنها تكشف عن قدرات الشعراء ومهاراتهم في استخدام الألفاظ المتشابهة في مواضع معنوية متباينة.

وفي هذه القصيدة اعتمد الشاعر على الجناسات المختلفة لإثراء إيقاع القصيدة الداخلي وقد عمد إلى الجناس غير التام الناقص بشكل أدق في عديد الأبيات مجانسا بين الألفاظ وحسبنا دليلا هذا البيت الخامس والسبعين الذي يقول فيه الشّاعر:

يقادُ في القدّ خنقًا مُشربًا حنقًا يمشي به الذعرُ مشيَ الشَاربِ الثّملِ[59]

جانس الشاعر بين خنقا من معنى الضيق وحنقا من معنى الغضب والحقد ،وهنا تشابه ركنا الجناس في عدد الأصوات وترتيبها والحركات وكان الاختلاف في نوع حرف واحد ،وفي البيت نفسه جانس الشاعر بين يقاد والقد وتحقق التجنيس بإضافة حرف واحد في كلمة دون الأخرى

وفي الضّرب نفسه ورد في البيت السّادس والسّبعين:

أوصاله من صليلِ الغلّ في خِللِ وقلبهُ من غليلِ الغلّ في عِللِ[60]

الملاحظ في هذا البيت أن الشّاعر جانس بين عدة ألفاظ ولم يكتف بركني الجناس الثّنائي حيث شابه بين علل وخلل وصليل والغل ، كل هذه الألفاظ تختلف في المعنى لكنها تقترب في المبنى رغم التباينات الطفيفة في نوع الحرف أو حركته أو ترتيبه ومما لا شك فيه أن هذا الثراء في توظيف التجنيس له أثره على تناغم وتناسق الأصوات في البيت الشعري .

كذلك الأمر مع البيت الموالي الذي لم يكتف فيه الشّاعر بالجناسات الثّنائية بل تعداها إلى الجناسات الثّلاثية ، وحسبنا دليلا هذا البيت الشعري:

أمسى خليلَ صَغَارٍ بعد نخوتهِ بالأمسِ في حُيلاءَ الخيلِ و الخولِ[61]

جانس الشّاعر بين خليل وخيل وخول وكان الجناس غير تام لاختلاف الحروف عددا ونوعا وحركة وترتيبا ورغم الجمالية التي أحدثها هذا التوظيف المكثف للمحسن البديعي اللفظي "الجناس الناقص "إلا أن ملامح التّصنع كانت واضحة في هذا البيت بحيث أن المتلقي يشعر بثقل في قراءة ألفاظ البيت ويجد نفسه يبتعد عن الانسيابية والطلاقة وكأن الشاعر حمّل البيت أكثر مما يستحق ،وأقحم الألفاظ إقحاما بعيدا عن المتطلبات الفنية للقصيدة.

يقول الشاعر في أبيات أخرى موظفا جناسات متعددة :

أضربتَ بالصّفحِ صحفا عن طوائلهم طَولاً أطال مقيلَ النّوم في المُقــلِ

فَكَمْ ببكّـــــة من باكٍ وباكيـــــــةٍ بفيضِ سجلٍ من الآماق منسجلِ

قد أسعرتُ منه صدرًا غير مصطبرٍ وحمّلت منهُ صبرًا غير محتــملِ[62]

في الأبيات الآنفة الذكر جانس الشاعر بين الألفاظ التالية : مقيل ومقل ، سجل ومنسجل ،صدرا وصبرا هذه الكلمات اختلفت في المعنى ،وتشابهت في هندسة الحروف رغم بعض الاختلافات الطفيفة في شروط الجناس التام ،هذا ما أسهم في خلق تكرار صوتي متناغم وتعزيز التجربة الجمالية للنص الشعري .

من خلال وقوفنا على ظاهرة إيقاع التجنيس في النص الشعري بدا لنا بشكل واضح تركيز الشاعر على الجناس الناقص بدلا من التام ،وإثراء نصه بجناسات متعددة الدلالات ومتشابهة البنيات ،وكان لتوظيف الجناس تأثير جمالي على الموسيقى الداخلية للنص وعلى البعد الدلالي ،شريطة أن يكون التجنيس عفويا وبإرادة ملحة من المعنى وإلا سيتجه النص نحو التّكلف وفي هذا الصدد يقول الجرجاني :**"لا تجنيسا مقبولا ولا سجعا حسنا حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه وساقه نحوه"**[63]

من خلال هذه الجناسات و جناسات أخرى يتضح لنا بأن الشقراطيسي تفرّد بعمق نظره وسليقته الفنية حيث أنه وظف جناسات متناغمة ذات بعد معنوي متباين بين لفظين متماثلين أو أكثر وهذا أبان لنا عن مهارة الشقراطيسي في تذوق الموسيقى اللفظية .

الخاتمة:

في خاتمة هذا البحث نتوصل إلى خلاصة موجزة نذكر فيه زبدة أهمّ النتائج :

يمكن القول أن الشقراطيسية هي قصيدة مطولة مدحية بديعة في نظمها وبليغة في خطابها ومنسجمة في مضامينها لهذا تفردت وتميزت عن باقي قريناتها من القصائد في الفترة الزمنية نفسها وما بعدها في المغرب الإسلامي، فعلى مدار 133 بيتا شعريا، استعرض الشاعر محطات تاريخية وفكرية ودينية، طارقا أغراضا شعرية متعددة ،معتمدا في ذلك على قدرات هائلة في التصوير والتخييل والبديع والموسيقى الشعرية ،وهذا في إطار جمع معرفي كثيف وعلى هذا الأساس اكتسبت القصيدة قيمة فنية وأدبية عند جمهور النقاد والأدباء .

استثمر الشاعر بعمق ودقة في الأحداث النبوية المختلفة متأرجحا بين مراحل زمنية ومحطات تاريخية فاصلة جامعا بين المولد الشريف ومرحلة شباب الرسول صلى الله عليه وسلم وفترة الدعوة إلى الإسلام والفتح الأعظم ذاكرا أهم الخصائل والمعجزات ضمن بناء معرفي محكم اتسم بالالتصاق والانسجام والتناسق وهذا ما أسهم في خلق وحدة عضوية متينة في

القصيدة .

اعتمد الشاعر على تفعيلا ت البحر البسيط لمواءمتها لحسه الشعوري ومناسبتها للخطاب الشعري الكامن في القصيدة ، إضافة إلى أن البحر البسيط كان الأنسب للمديح النبوي ولسرد أحداث دينية .

تضافرت جماليات الخطاب الشعري في القصيدة الشعرية فجمعت بين جمالية الصور الشعرية التي جسدت **الحالة الشعورية للشاعروخلقت فضاء دلاليا معمقا بأبعاد جمالية**،وقد ارتكز فيها الشاعر على الصور التشبيهية و الاستعارية بشكل مكثف ،كما دعّم الخطاب الشعري بالموسيقى الشعرية التي ارتكزت على إيقاع داخلي متين اتسم بالانسيابية والليونة والتجانس و هذا ما أسهم في تعزيز جمالية الإيقاعات وفي تحقيق توازن هيكلي ونسقي بين أجزاء القصيدة التي صيّرت إلى لوحة فنية صوتية ذات نغم موسيقي متجانس.

هوامش البحث:

[1] -سورة التوبة :الآية 128 .

[2] -تفسير السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق :عبد الرحمن بن معلا اللويحق ،مؤسسة الرسالة ،بيروت ، ط1، س2002،ص358.

[3]- سورة القلم ، الآية 4.

[4]- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ،لسان العرب، ماده مدح ،الجزء الثاني ،دط،،ص 590

[5]- ابو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، ماده مدح ،دط،دار صادر بيروت ،ص 585

[6]- شهاب الدين الأبشيهي ،المستطرف في كل فن مستظرف ،ج2،دار مكتبة الحياة،لبنان،س1999،ص254.

[7] - ينظر:أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني،العمدة في محاسن الشعر وأدبه، تحقيق: النبوي شعلان ،مكتبه الخانجي ،القاهره ، ط1،س 2001 ص77

[8]- زكي مبارك :المدائح النبويه في الأدب العربي ،منشورات المكتبه العصريه صيدا بيروت ،ط1،س1935،ص17

[9]- جميل حمداوي المديح النبوي في الادب العربي ، منشورات المكتبه العصريه بيروت ،س2007،ص1

[10]-ينظر: محمد أحمد، معجم أعلام شعراء المدح النبوي ،مكتبه الهلال،بيروت ،ط1،دس،ص196

[11]-ينظر :الطاهر بونابي : التّصوف في المغرب الأوسط خلال القرنين السادس والسابع الهجريين –نشأته تياراته ،دوره الاجتماعي والثقافي والفكري والسياسي ،دار الهدى للطباعةوالنشر ،عين مليلة الجزائر ،س2004،ص49

[12] -عياض بن موسى بن عياض بن عمروون بن موسى بن عياض اليحصبي وهو ينسب إلى يحصب بن مالك بن زيد ،ولد في منتصف شعبان سنة 476 للهجرة، كان فقيها ، شاعرا ، عليما ،خطيبا ،له عده مؤلفات :ترتيب المدارك وتقريب المسالك ،مشارق الأنوار على صحاح الاثار ،المقاصد الحسان فيما يلزم الانسان.،ينظر:ابن الخطاب لسان الدين :الإحاطة في أخبار غرناطة ،تر:يوسف علي الطويل،ج4،دار الكتب العلمية،بيروت،ط1،س2002،ص188.

[13]-عبد السلام شقور، القاضي عياض الأديب ،دار الفكر ،الرباط، ط1،س1983، ص339.

[14] -أبو محمد عبد الله بن يحي الشقراطيسي ،شرح الشقراطسية لمحمد بن محمد قاضي القلعة،تحقيق الشيخ محمد الشاذلي النيفر ،دط،المركز الوطني للبحوث والدراسات ،فلسطين،دط،ص7

[15] -محمّد مرتاض :الشّعر الوجداني في المغرب العربي ،من القرن الثّاني الهجريّ إلى القرن الخامس الهجريّ ، دار هومة ،الجزائر ، س ،دط،س2015،ص198.

-عباس الجراري:الادب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه ،ج1،مكتبة المعارف، الرباط ،ط2،ص 143-[16]

[17]- الشقراطيسي هو أبو محمد عبد الله بن يحي بن علي الشقراطيسي التوزري ،ولد بتوزر ، سمي نسبة إلى قلعة تسمى شقراطس ،سافر إلى القيروان ، وأقام بها إلى حدود 429هـ ، وأخذ العلم عن علمائها:أبي بكر بن عبد الرحمان ،عبد الحق الصقلي،وعبد المنعم الكندي ، اشتهر كونه فقيها ،أديبا ،شاعرا من بين أعماله : مجموعة الأسئلة الفقهية، أرجوزة في مناسك الحج , الأعلام في معجزات خير الأنام،سجل صنفه لأولاده أوضح فيه أصله وتاريخه وذكر في اخره الشيوخ الذين تلقى عنهم العلوم المختلفة وهم 72 شيخا ،تعليق على مسائل من المدونة ،فضائل الصحابة ،وقصيدته الفريدة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم على قبره الكريم . ينظر: محمد النيفر ،عنوان الأريب عما نشأ بالبلاد التونسية من عالم أديب ،ج1،تونس ،ط1،سنة 1932،ص311..

[18] - عبد الله كنون ،أدب الفقهاء ، دار الكتب العلمية لبنان ،دط،س1871 ،ص153.

[19]- ينظر أحمد بن عبدالوهاب النويري شهاب الدين نهاية الأرب في فنون الادب،ج1،دط ،دار الكتب،القاهرة،سنة 2006، ص10981

-أحمد بن عمار ، نحلة اللبيب في الرحلة إلى الحبيب ،م بونتانة الجزائر،ط1،س1905،ص198.[20]

[21]-ينظر محمد مرتاض: الشعر الوجداني في المغرب العربي ،ص139.

[22] - ياذكار لطيف الشهرزوري، جماليات التلقي في السردالقرآني ، دار الزمان لطباعه والنشر والتوزيع، ط1 ، س 2010 ص 17

- أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني:العمدة في محاسن الشعر وأدبه ،ص350 [23]

- أبو محمد عبد الله بن يحي الشقراطيسي ،شرح الشقراطسية لمحمد بن محمد قاضي القلعة ،ص 143[24]

[25] - أبو محمد عبد الله بن يحي الشقراطيسي ،شرح الشقراطسية لمحمد بن محمد قاضي القلعة،ص7

[26] - ينظر أحمد بن عبدالوهاب النويري شهاب الدين نهاية الأرب في فنون الادب،ص9014.

[27] - أبو محمد عبد الله بن يحي الشقراطيسي ،شرح الشقراطسية لمحمد بن محمد قاضي القلعةص10،7.

- محمّد مرتاض :الشّعر الوجداني في المغرب العربي، ص 147[28]

-الجاحظ: البيان والتبيين ،تحقيق درويش جويدي ،ج2،المكتبه العصريه لبنان ،س2003،،ص 244[29]

[30] - أبو محمد عبد الله بن يحي الشقراطيسي ،شرح الشقراطسية لمحمد بن محمد قاضي القلعة،ص11.

-سورة الفرقان ،الآيتان 4-5.[31]

[32] - أبو محمد عبد الله بن يحي الشقراطيسي ،شرح الشقراطسية لمحمد بن محمد قاضي القلعةص12،13.

- أبو محمد عبد الله بن يحي الشقراطيسي ،شرح الشقراطسية لمحمد بن محمد قاضي القلعة،ص18.[33]

[34]- سوره التّوبة ،الآية 128.

[35] - علي الحسن بن رشيق القيرواني:العمدة في محاسن الشعر وأدبه ،ج1،ص350

[36] - أبو محمد عبد الله بن يحي الشقراطيسي ،شرح الشقراطسية لمحمد بن محمد قاضي القلعة،ص20،21.

[37] - أبو محمد عبد الله بن يحي الشقراطيسي ،شرح الشقراطسية لمحمد بن محمد قاضي القلعة،ص21.

[38]- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ،شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني ،تحقيق إحسان عباس ،دار صادر بيروت ،ط2،س 2004 ص 512 .

[39] - ينظر :ياذكار لطيف الشهرزوري، جماليات التلقي في السردالقرآني ،ص17

- سعيد علوش :المصطلحات الأدبية المعاصرة ،مطبوعات المكتبة الجامعية، الدار البيضاء، المغرب، ط1،س 1984 ،ص 36 [40]

[41]-ينظر :محمد غنيمي هلال ،النقد الأدبي الحديث ،دار العودة،بيروت ،ط1،س 1982 ،ص 410

- ينظر:علي الجارم ومصطفى أمين: البلاغة الواضحة البيان ، والمعاني والبديع ،المكتبة العلمية ،بيروت لبنان،ط1،س 2002 ،ص 71[42]

[43] - أبو محمد عبد الله بن يحي الشقراطيسي ،شرح الشقراطسية لمحمد بن محمد قاضي القلعة،ص7.

[44] - أبو محمد عبد الله بن يحي الشقراطيسي ،شرح الشقراطسية لمحمد بن محمد قاضي القلعة،ص10.

- ينظر محمد عزام :الأسلوبية منهجا نقديا ،منشورات وزاره الثقافة السورية،س1989،ص 167 [45]

[46] - أبو محمد عبد الله بن يحي الشقراطيسي ،شرح الشقراطسية لمحمد بن محمد قاضي القلعة،ص7،،16،18.

[47]- .Charlles bally traiter des stylistiques françaises 3 et des cas Paris 1951 la page 85z،ينظر بلقاسم رحمون ، رسالة مقدمةنيل الدكتوراه جامعة العربي بن مهيدي ،كلية الأدب واللغات ، ، س 2015 ،ص327 .

- أبو محمد عبد الله بن يحي الشقراطيسي ،شرح الشقراطسية لمحمد بن محمد قاضي القلعة ،ص.7-11-14-17.[48]

- ينظر: ناصر علي ،بنيه القصيدة في شعر محمود درويش ، دار الفارس للنشر والتوزيع ، الأردن،ط1،س2001 ،ص [49]190

-ينظر: عزة السيد أحمد، الجمال وعلم الجمال ،حدوث واشراقات للنشر الأردن ،ط1 ،س 2023 ،ص [50]18

- ينظر: رضوان النجار، المنظومة الموسوعة في العروض والقواعد والمصطلحات، مكتبة الشمس ،الجزائر ،ط1 ،س 2007 ،ص155.[51]

[52]-- أبو محمد عبد الله بن يحي الشقراطيسي ،شرح الشقراطسية لمحمد بن محمد قاضي القلعة،ص7.

- ميخائيل نعيمه ،الغربال ،دار نوفل ، بيروت لبنان 1991،ط15، ص [53]87

- ينظر اسماعيل عز الدين الشعر العربي المعاصر قضاياه والظواهره الفنيه والمعنويه دار العوده طبعه ثلاثه 1993 ميلادي ص [54]122

[55]- أبو محمد عبد الله بن يحي الشقراطيسي ،شرح الشقراطسية لمحمد بن محمد قاضي القلعة،ص7

[56]- أبو محمد عبد الله بن يحي الشقراطيسي ،شرح الشقراطسية لمحمد بن محمد قاضي القلعة ،ص14-16.

-ينظر :السكاكي أبو يوسف بن أبي بكر ،مفتاح العلوم ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،ط1، سنة 1983ص [57]479

-ينظر: محمد العمري ، البنية الصوتية في الشعر ، الدار العلمية للكتاب ،لبنان ،ط1،سنة 1990، ص [58]216

[59]- أبو محمد عبد الله بن يحي الشقراطيسي ،شرح الشقراطسية لمحمد بن محمد قاضي القلعة،ص15.

- أبو محمد عبد الله بن يحي الشقراطيسي ،شرح الشقراطسية لمحمد بن محمد قاضي القلعة،ص [60]15

- أبو محمد عبد الله بن يحي الشقراطيسي ،شرح الشقراطسية لمحمد بن محمد قاضي القلعة،ص [61]15

- أبو محمد عبد الله بن يحي الشقراطيسي ،شرح الشقراطسية لمحمد بن محمد قاضي القلعة،ص18.[62]

-عبد القاهر الجرجاني ،أسرار البلاغة ،ت محمود محمد شاكر ،دار المدنى السعودية ،دط،ص [63]11